# تأمـلات

# في سـورة الماعـون

سعيد بن أحمد آل لوتاه

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

# تأملات في سورة الماعون

سعيد بن أحمد آل لوتاه

الإمارات العربية المتحدة

دبي

# تأملات في سورة الماعون

## مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمـــد وعلـــى آلـــه وصحبه أجمعين ويعد..

فالقرآن كتاب الله المتزل علـــى رســـوله، ليكون دستوراً للأمة هادياً لها إلى الطريق الموصل إلى طاعة الله، والفوز برضاه، قال تعالى:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾

[سورة المائدة:].

وقد وضع القرآن في هذا الدستور مبادئ تتناول حياة الإنسان في دنياه وأخراه، وطرق تعامله مع نفسه ومع الله ومع الناس، وكان أسلوبه ناصحاً ومرشداً ومرغِّباً ومحبِّباً أحيانا، وذلك حين يدعو إلى خير أو بر مثل قوله تعالى في سورة النحل٩٧:

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

وقوله في سورة الكهف: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا}.

وقد يجيء أسلوبه شديداً قاسياً عندما يدور الأمر حول عيوب المجتمع، وإصلاح الفساد، أو عندما يعالج انحراف المسلمين عن الطريق الذي رسمه الدين، عندئذ يتحول النصح إلى

تخويف، وينقلب الإرشاد إلى تهديد، لبيـــان أهمية الموضوع، وعظيم خطره على الإنـــسان في الدنيا والآخرة، مثل قوله تعالى في ســـورة البقرة:

{يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربى إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فـــأذنوا بحرب من الله ورسوله}.

وقوله تعالى في سورة النـــساء: {إن الـــذين كفروا سوف نصليهم ناراً كلما الله نضجت

جلودهم بدلناهم جلوداً غيرهـــا، ليـــذوقوا العذاب، إن كان عزيزاً حكيماً}.

فأساليب القرآن الكريم تختلف، وتتفاوت بين اللين والشدة، وبـــين الترغيـــب والترهيـــب حسب المواقف والموضـــوعات. وبأســـلوب الشدة والتخويف نزلت سورة الماعون، لتدق ناقوس الخطر الذي يصم آذان المتـــهاونين في التعاون والتضامن، المقصرين في حق اليتـــامى والمساكين، حتى إنها حكمت علـــى هـــؤلاء بأنهم يكذبون بالدين.

لابد أن الأمر خطير، والسؤال عجيـــب، لأن أول ما يتبادر إلى الذهن إن الـــذي يكـــذب بالدين هو الذي لا يؤمن بالله، ولا يعتـــرف بألوهيته، فجاءت السورة تؤكد أن من الذين يشهدون الشهادتين ويؤدون الفرائض المكتوبة من يكذب بالدين، وهم من المسلمين.

هذا الأسلوب الشديد هزَّ قلبي وحرك عقلي، فأيقنت بخطر الجرم الذي استحق عليه هؤلاء الناس هذا المصير، ووجدت من واجـــبي أن أنقل خواطري إلى إخواني وعشيرتي، وأعـــبر

لهم عن مشاعري تجاه هذه السورة، فكتبـــت هذه التأملات راجياً من الله القبول.

***

# هداية وإرشاد

{أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدُع اليتيم * ولا يحضّ على طعام المسكين* فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون* الذين هم يراءون ويمنعون الماعون} [سورة الماعون الآيات: ١-٧]

هذه تأملات في سورة الماعون، السورة الكريمة التي تشكل مع غيرها من سور القرآن منهجا سماويا يبين للبشر سبيل السعادة

والتوفيق في الحياة، منهجا دعانا الله عز وجل إلى إتباعه والاهتداء به بقوله تعالى في ســـورة الأنفال: {يأيها الذين آمنـــوا اســـتجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}.

## في القرآن هداية وإرشاد:

فالقرآن حياة الأمة، أي في الاهتداء به صلاح الحياة وسعادتها، ونحن إذ نقرأ هذه الآيـــات الشريفة ونفكر بها تتوارد على عقولنا وقلوبنا معان وأفكار ورؤى، هي من هـــدي هـــذه الآيات، وأنا بدوري أحببت أن أشرك أخوتي

وأخواتي فيما يخطر علي من هـــذه الخـــواطر والرؤى فأضعها بين أيديهم وأعرضها أمـــام عقول علماء الإسلام ، ليروا رأيهـــم فيهـــا، وليقدموا ما تجود به قرائحهم وعقولهم، مـــن ملاحظات وتصويبات وإضافات حولها، مع الشكر والعرفان لكل من يقـــدم إضـــافة أو تصويبا أو ملاحظة، وعند الله خير الثـــواب. فما أنا إلا مسلم أعمل عقله، وفكر فيما بين يديه، من آيات كتاب ربه اتباعا واســـتجابة لأمر الله تبارك وتعالى لنا بالتفكر والتـــدبر في

آياته واستجابة   لنهي الله تعالى لنا عن التقليد وتجميد العقل إذ يقول جل من قائل في سورة الإسراء:

{ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً}.

## النظام الإسلامي للحياة:

الإسلام نظام متكامل عقيدة وعبادة ومعاملات بين البشر تنظمها مجموعة من الأنظمة الإسلامية التي تمكن الإنسان من إعمار هذه الأرض ومن إقامة شرع الله فيها وأداء الأمانة التي حمله الله إياها .فالإسلام قدم للإنسان نظاماً اجتماعياً وآخر اقتصادياً،

وسياسياً، وتربوياً، وغير ذلك من الأنظمة التي تضمنها شرع الإسلام، والتي تشكل متضامنة نظام الإسلام، ولا يمكن أن نفصل نظاما من هذه الأنظمة عن غـــيره، ولا أن نحكم عليه وعلى صلاحيته وجدواه إلا من خلال رؤيـــة شاملة تنظر إليه على أنـــه نظـــام عـــضو في مجموعة أنظمة تشكل في صـــورتها الـــشاملة الإسلام كله. ولو عدنا إلى التفكر في آيـــات سورة الماعون، لتكشف لنا رفـــض هـــؤلاء

المكذبين لمنهج الإسلام في كفالـــة الأيتـــام ورعايتهم.

## التكذيب بالدين:

افتتحت سورة الماعون بآية قرآنية تستثير العقل البشري وتستفزه للانتباه لما سيأتي بعدها من بيان: {أرأيت الذي يكذب بالدين}.

ثم نرى الآية الثانية تشرع ببيان بعض صفات أولئك الذين يكذبون بالدين:

{فذلك الذي يدُع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين}.

إن التكذيب بالدين وصف كـــبير خطـــير، يرادف وصف الكفر ويجاريه، وليست هـــذه مبالغة فالآيات في القرآن الكريم التي تخـــوف من عاقبة التقصير في الحـــض علـــى طعـــام المسكين تؤكد ذلك مثل قوله تعالى في سورة المدثر آيات٣٨/٤٣: {كل نفس بما كـــسبت رهينة إلا أصـــحاب الـــيمين، في جنـــات يتساءلون، عن المجرمين، ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين، ولم نـــك نطعـــم

المسكين، وكنا نخوض مع الخائـــضين وكنـــا نكذب بيوم الدين}.

فالمجرمون وأصحاب النار مكذبون بالـــدين، مانعو حقوق المساكين، ممتنعون عن الصلاة، وفي سورة الماعون نرى التكذيب بالدين صفة لاصقة بالذين يضيعون اليتـــيم والمـــسكين، لذلك كان لا بد من الوقوف قليلا عند هذه الآيات الشريفات وعند هذه الصفات الـــتي نبهنا القرآن الكريم إلى خطورتها.

## حق اليتيم

إن تصوري لمسألة اليتيم هو أنه لا يتيم يضيع في مجتمع الإسلام، فإذا ما أصاب اليتم أفــراد عائلة ما فإن هؤلاء الأيتام مكفولون بكفالــة نظام الإسلام، إذ يتقدم أحد المسلمين فيتزوج الأرملة أم الأيتام فيكون لها زوجــاً ومعينــاً ويكون لأيتامها أبا وسنداً ومربياً، أما بــاقي المسلمين فإن لهم دوراً مهماً، فهم يراقبــون الزوج الجديد كافل الأيتام ويعينونه في كفالته ومسؤوليته، وهكذا يشعر الكفيل بأنه مراقب ومعان على ما تحمل من الله ثم من النــاس،

ويشعر الأيتام بأنهم ليسوا وحدهم، وأنهم وإن كان والدهم قد مات فإن كل المسلمين أعوان لهم وكفلاء ومدافعون عنهم وعن حقوقهم.

فاليتيم في الإسلام يتمتع بكفالة المجتمع الإسلامي كله وبرعايته، المسلم أخو المسلم، فالكبار في المجتمع أعمام لليتيم وعمات، والصغار إخوان له وأخوات، وهذه الرعاية مطلوبة من جميع المسلمين فهم بين كفيل ومعين ومراقب ومتعاطف ولو حتى بمسحة

على رأس اليتيم. ودليلي على ذلك: أنه لو لم تكن كفالة المجتمع لليتيم مطلوبة ومفروضــــة عليهم لكان من الظلم أن يقتل الحاكم أحداً من الناس حداً أو قصاصاً، وحاشا أن يــأمر القرآن بظلم، فالله تعالى يقــول في ســورة البقرة: {ولكم في القصاص حيــاة يــا أولي الألباب} فالله تعالى وصف القصاص بأنـــه سبب للحياة الآمنة، وسبب للحفاظ علـــى أرواح البشر، بحمايتهم من انتشار العـــدوان والقتل. وإذا ضاع منهج الإسلام في رعايـــة

الأيتام، فان القصاص يكون موتاً آخر لأولاد المقتول قصاصا، لذلك فان تضييع منهج الإسلام في رعاية الأيتام وكفالتهم هو تكذيب بالدين وعمل يرادف الكفر ويجاريه.

وهكذا نجد أن منهج الإسلام الاجتماعي لم يحفظ الحياة الكريمة للأيتام فحسب، إنما للأسرة كلها، فأيما عائلة فقدت عائلها لقصاص أو استشهاد أو لأي سبب من أسباب الموت فإن الإسلام ومن خلال نظام تعدد الزوجات كفل للمرأة الأرملة بيتاً

جديداً وزوجاً حنوناً، فلا ضياع لأرملة ولا يتيم. حقاً ليس في مجتمع الإسلام يتيم يضيع. حقاً ليس في مجتمع الإسلام أرملة تضيع. حقاً ليس في مجتمع الإسلام أسرة تضيع. لكن أين منهج الإسلام؟! لذلك فإن من يضيع منـــهج الإسلام هو من المكذبين بالدين، ولو ادعـــى بأنه من المسلمين بل إن الذين يدعون الإسلام من هؤلاء هم مثل سيئ للأمة، بل هم فتنـــة للذين كفروا يفتنون بكذبهم الناس ويبعدوهم عن الدين الحق.

## حق المسكين في الإسلام:

ومع تأمل قوله تعالى: {ولا يحض على طعام المسكين} لا بـــد مـــن العـــودة إلى قولـــه تعالى: {أرأيت الذي يكذب بالدين}.

لنتذكر أننا في صدد التعرف على فئـــة مـــن الناس وصفهم الله تعالى بوصف شنيع هـــو التكذيب بالدين وهو وصف مرادف للكفـــر هؤلاء هم الذين يضيعون الأيتام والـــذين لا يحضون على طعام المسكين والمتهربون مـــن تبعات النظام التعاوني الإسلامي، فلو لم يكن

جرمهم كبيراً وخطؤهم فادحاً لما وصفهم الله تعالى بهذا الوصف الشنيع. فهل بعد هذا من إشارة أوضح أو من دليل أنصع على أهمية ما تدعو إليه الآية من حفظ لحقوق الأيتام وحض على طعام المسكين وتحقيق للنظام التعاوني بين المسلمين؟

إن الحض على طعام المسكين لا يتوجه إلى طعام مخصوص بعينه، إنما إلى قيمة الطعام لتكون بصورة يتمكن معها المسكين من امتلاك الطعام. فزيادة الإنتاج الغذائي ضمان

ليعيش الناس في أمان وبحبوحة وراحة، فطعام الناس وغذاؤهم أهم ما يسعون إليه، لأنه الأساس فالإنسان إذا امتلأ بطنه أصبح بإمكانه أن ينتج وبإمكانه أن يفكر وأن يتجه إلى أي نشاط مهم آخر.

أما إذا كان جائعا فان كل نشاطاته واهتماماته الأخرى تخمد وتتراجع.

وفي تصورنا أن الآية تجعل الحض على طعام المسكين واجبا على كل مسلم، فالحض والتعاون وتهيئة الطعام بكل الوسائل المتاحة

من زراعة وصناعة وتجارة، ليكـــون الطعـــام رخيصا وفي متناول الجميع. هي دعـــوة إلى توفير حاجات الفقراء والمساكين في الأسواق بالأسعار التي يستطيع المساكين أن يشتروا بها، لأن المسكين يعود من السوق خالي الوفـــاض إذا كانت الأسعار غالية وأعلى من مـــستوى مقدرته. فقلة الإنتاج تؤدي إلى ندرة البضاعة وذلك يؤدي إلى ارتفاع أســـعارها فتـــصبح بالنسبة للمسكين وكأنها غير موجودة.

والمساكين هم الذين يملكون أشياء ووســـائل إنتاج لكن ذلك لا يكفيهم، وهم يعملـــون ولكنهم لا يصلون بعملـــهم إلى كفايتـــهم، ويحسبهم الجاهل أغنياء من التعفـــف، قـــال تعالى في سورة الكهف: {أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر}، فهم يملكـــون سفينة، ولديهم عملهم الذي به يكتـــسبون لكن دخلهم اقل من كفايتهم، هـــؤلاء هـــم المساكين وعنهم يدور الحديث هنا. فالآيـــة دعوة إلى توفير حاجات الطبقـــة المتوســـطة

محدودة الدخل، من مأكل ومشرب ومسكن وغير ذلك من الحاجات.

## منهج الإسلام الاقتصادي

نرى في الآية دعوة إلى توجيه أموال الأمة إلى الاستثمار فيما يعود بالنفع على اكبر نسبة من الناس. ودعوة إلى العمل ليصل المساكين{**ذو الدخل المحدود**} إلى ما يسد حاجاتهم، فالخبراء والعلماء يبحثون دائما عن أفضل البدائل المناسبة، و أصحاب الأموال يوظفون أموالهم في مشاريع إنتاجية تحقق تشغيل أكبر عدد من أبناء هذه الطبقة، وتنتج ما يسد حاجات المجتمع .

فالإسلام دعوة وحض على طعام المسكين، والمسلم حاض داعية بعمله وبلسانه، بماله وبجهده وبفكره وبعلمه من أجل طعام المسكين، من أجل إرضاء الله تعالى، وحتى لا يدخل في عداد الذين يكذبون بالدين الذين لا يحضون على طعام المسكين.

فالذي لا يحارب الربا لا يحض على طعام المسكين. والذي لا يحارب الاستثمارات الضارة أو غير النافعة لا يحض على طعام المسكين. والذي لا يحارب الاحتكار لا يحض

على طعام المسكين. والذي لا يحارب كنـــز المال هو إنسان لا يحض على طعام المسكين. وكل مشروع أو استثمار يهدف إلى تنميـــة المال فقط دون النظر إلى تنمية المجتمـــع هـــو مشروع بعيد عن مبدأ الحض علـــى طعـــام المسكين.

## الصلاة الصحيحة:

يحذر الله المتهاونين في الصلاة فيقول: {فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون} الصلاة صلة بين

العبد وربه وذكر لله، فالمصلي ذاكر لله، مراقب له في تصرفاته وأفعاله، فالمحسن في صلاته هو الذي يعبد الله كأنه يراه، الذي تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر، وتكون له بابا من أبواب التقوى، فيمتثل أوامر الله ويجتنب نواهيه. والغافل الساهي عن صلاته قد يصلي لكنه يصلي صلاة لا يدخل بها في عداد الأتقياء ولا ينتهي بها عن الفحشاء والمنكر، فهو لم تنقله الصلاة من زمرة الغافلين الساهين إلى عالم المؤمنين الذاكرين فكأنه لم

يصل وحجتنا في ذلك قول الله تبارك وتعالى في سورة العنكبوت آيـــة ٤٥:{إن الـــصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} وفي الآيات التي نقرؤها تهديد ووعيد بعذاب اليم يوم القيامة للساهين عن الصلاة وحقيقتها البعيدين عـــن ثمارها ونتائجها الموصوفين في السورة بقولـــه تعالى:{الذين هم يراءون ويمنعون الماعون}، فهم بغفلتهم عن الله وعن حقيقة الصلاة قـــد حرموا أنفسهم من بركة الإخلاص في العمل والعبادة فابتعدوا عن آثار الـــصلاة، وابتلـــوا

بأمراض البخل والرياء التي أبعدتهم عن أخلاق التعاون بين المسلمين، وجعلتهم يتهربون من هذا الواجب المفروض بقوله تعالى في ســـورة المائدة: {وتعاونوا على الــبر والتقــوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان}.

**التعاون مطلب عام:**

فالتعاون واجب على الجميع وفي كل مجالات الحياة، ويخطئ من يظن أن الويل والتهديـــد بالعذاب في سورة الماعون موجه فقط للذين يرفضون التعـــاون في مجـــال إعـــارة الأواني

والأدوات، لا أبداً !!.. فإن مانع الماعون هو الممتنع عن عون أخيه المسلم، الممتنع عن المشاركة في تحقيق ظاهرة التعاون بين جميع أفراد المجتمع وفي كل مجالات الحياة، ففي تفسير القرطبي لسورة الماعون عدد المفسر معاني كلمة الماعون في لغة العرب،فذكر منها:المعروف والمعونة، ومعاني أخرى تصل إلى اثني عشر معنى، كل ما فيه منفعة من قليل أو كثير وكلها معان تؤكد أن المانع للماعون إنما هو المانع للتعاون بين الناس والممتنع عن

أداء هذا الواجب المهم في حياة المـــسلمين. لذلك هدده الله بالويل وجعله في عداد أهـــل النار والمكذبين بالدين.

## خاتمـــــــة

هذه وجهة نظري وهذا تـــصوري وفهمـــي للسورة الكريمة قد طرحته، فان أصبت فذلك من الله تعالى وان أخطأت فمن نفسي وكلي أمل أن أجد من اخوتي المـــسلمين مـــشاركة وحوارا مفيدا حول هذه الـــسورة وحـــول تصوري وفهمي لها، ليكون الحوار بابـــاً إلى طرح المزيد من الأدلة حول الموضوع، وسبباً لإغناء الفكرة وتوضيحها.

## الخلاصـــــة:

هذه تأملاتي في ســـورة المـــاعون، وهـــذه انطباعاتي بعد أن عشت مع السورة آية آية، أو قل كلمة كلمة، وكـــأني أحـــس بوقـــع كلماتها القاسية الشديدة كالـــسياط تلـــهب ظهور الذين يَدعُّون اليتـــيم فيقـــصرون في رعايته، ولا يحضون على طعـــام المـــسكين، بإتاحة فرص العمل لـــه ولأمثالـــه، وتهيئـــة المجالات التي تيسر لهؤلاء المساكين حياة كريمة شريفة، في مجتمع إسلامي متعاون، يؤدي فيه

المسلم حق الله بإخلاص وإيمان، وحق الناس بأمانة وتضحية.

إن من يقرأ هذه السورة، ويعود إلى العالم الذي نعيش فيه يرى أن مشاعر المسلمين قد تبدلت، وعقولهم قد توقفت، فلم يعودوا يأبهون لنذير مهما اشتد أسلوبه، ولا لتخويف مهما ساءت عاقبته، إنهم في غيهم ساهون، وفي تلبية أهوائهم ساعون، ولو أفاقوا من غفوتهم، أو استيقظوا من نومهم لوجدوا أن الأمر الذي تتناوله سورة الماعون أمر خطير، يحتاج إلى وقفة طويلة مع عقل واع، وذهن

يقظ، وتفكير مستنير للخلاص من الوقوع في هذا الخطر المستطير.

**أخي المسلم..**

إذا لم تكن السورة قد أوحت إليــــك بهـــذه الانطباعات فأعد قراءتها بتأنٍ وتفكـــير، وإن كنت قد شاركتني هذا الإحساس فحاول أن تنقله إلى غيرك، لعلنا بهذا التواصل نـــصل إلى مجتمع لا يضيع فيه يتــيم، ولا يجــوع فيـــه مسكين، ولا يبخل فيه قادر، ولا يرائي فيـــه عابد، وما ذلك على الله بعزيز.

**سعيد بن أحمد آل لوتاه**